السياسية والنسيان في فلسفة (طه عبد الرحمن)

Politics and forgetting in the philosophy of Taha Abdel Rahman



**قداوي محمد [1]*

[1]جامعة وهران2، الجزائر

midounon61@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/09/13 تاريخ القبول: 2025/11/09 تاريخ النشر: 2026/06/01

****

ملخص:

يتناول هذا المقال إشكالية العلاقة بين السياسة والنسيان في فكر طه عبد الرحمن، حيث يُعاد النظر في الأسس التي يقوم عليها الفعل السياسي، من خلال ربطه بالذاكرة الأخلاقية. وينطلق المقال من فرضية أن السياسة المعاصرة تعاني من هيمنة النسيان، باعتباره آلية تبريرية تُقصي البعد القيمي، بينما يسعى مشروع طه عبد الرحمن إلى تجاوز هذا الانفصال، من خلال تصور فلسفي يُعيد إدماج الأخلاق في المجال السياسي، ويؤكد على ضرورة استحضار البعد الروحي والإنساني في الممارسة السياسية.

الكلمات المفتاحية: طه عبد الرحمن، السياسة، النسيان.

Abstract:

This article addresses the problematic relationship between politics and forgetting in Taha Abdel Rahman's thought, reconsidering the foundations upon which political action is based by linking it to moral memory. The article proceeds from the premise that contemporary politics suffers from the dominance of forgetting, as a justificatory mechanism that excludes the value dimension. Meanwhile, Taha Abdel Rahman's project seeks to transcend this separation through a philosophical vision that reintegrates ethics into the political sphere and emphasizes the necessity of invoking the spiritual and human dimension in political practice.

Key words: Taha Abdul Rahman, politics, forgetfulness

---

*المؤلف المرسل

مقدمة:

من المفاهيم المركزية التي تلفت انتباه القارئ في فلسفة (طه عبد الرحمن)، مفهوم (السياسة) التي أثبتت تجارب الحياة الخاصة بالإنسان دون غيره، أو ذلك (الكائن الحي) من يملك بالضبط إشكالية عن ماهية وجوده، بأنها سنة كونية له وبوصفها في نظر ذلك الرجل المجال الأخلاقي لتدبره إلى جانب مفهوم (النسيان) باعتباره آفة روحية أو فراغ أنطولوجي رهيب انتاب الإنسان واتسع على حساب مجال أفعاله وأعماله.

يتضح أيضا من هذه الفلسفة وفي ضوء تلك المفاهيم في حد ذاتها أن صاحبها قدم قراءة تأملية عميقة، تسعى إلى نقد أسس الدولة الحديثة وكذا النزعة النسيانية المعاصرة وفي نفس الوقت بناء مشروع نهضو ي يزاوج بين (العقل المؤيد) والتزكية الأخلاقية وعليه ضمن هذا الطرح الفكري، تصاغ الإشكالية فيما يلي:

متى كانت للسياسة علاقة بالنسيان الذي يهدد الوعي الأخلاقي فنيا؟ وما السبيل الذي يقترحه (طه عبد الرحمن) لتجاوزها؟

استدعت هذه الدراسة فرضيات تعزز القيمة العلمية للموضوع ما دامت متفقة مع هدفنا الأكاديمي الذي يتماشى مع ضرورة بناء وعي سياسي جماعي تبعا للمتغيرات الثقافية المستمرة داخل التاريخ، أهمها:

- الفكر السياسي الغربي الذي عرف بالعقل النقدي والتجربة التاريخية، منذ عصر النهضة أسس السياسة على القطيعة مع أصلها الروحي والأخلاقي، أي أن ماهيتها تدخل في دائرتها الأخلاق الدينية الروحية.

- للنسيان تجلياته في ثلاث مستويات، نسيان الأصل (القيم) ونسيان (الآخر) كبعد إنساني ونسيان (المصير) (كأفق أخروي).

- مشروع (طه عبد الرحمن) يسعى إلى تأسيس سياسة بديلة قائمة على العقل المؤيد عبر إعادة وصل السياسي بالدين وبالأخلاقي الروحي.

استخدمنا المنهج التحليلي المناسب لنصوص (طه عبد الرحمن) حول السياسة والأخلاق، كما استنبطنا المفاهيم الأساسية (النسيان)، (الأصل)، (المصير) لنقارنها مع بعض التصورات الحديثة لتبيين فرادة طرحه.

وقد اخترنا تقسيما خاصا بالخطة نعرضه في الأسطر التالية:

المبحث الأول: السياسة عند (طه عبد الرحمن)

المطلب الأول: نقد تسييس الدين وتديين السياسة

الممارسة السياسة في العالم الإسلامي كما يرى (طه عبد الرحمن) انزلقت إلى منزلق خطير، يتمثل في تحويل (الدين) إلى أداة في يد السياسة، أي ما يسميه" بـ (تسيس الدين)، حيث يتم استخدام الخطاب الديني "لتبرير سلطات السياسة بغض النظر عن أخلاقيتها"[1]، في مقابل ذلك لا يدعو هذا الفيلسوف إلى تديين السياسة بالمفهوم التقليدي وإنما إلى تأسيس تدبري تعبدي وهو مفهوم يربط الفعل السياسي بمقاصده الأخلاقية، ويرفض توظيف الدين لأغراض الغلبة أو التحكم ويرى في "السياسة مجالا" للعدل والقسط، لا للهيمنة والاستغلال"[2]

المطلب الثاني: الدولة المشتبهة بوصفها نموذجا مضادا.

يطلق (طه عبد الرحمن) وصف (الدولة المشتبهة) على النظام السياسي الذي يستخدم (الدين) ستارا لإخفاء غايات دنيوية، أو بمعنى آخر أطراف الدولة المعنيين بممارسة الحكم، يعتمدون (الدين) وسيلة أو ذريعة لتحقيق مصالحهم الشخصية، وهم بذلك يمارسون نوعا من الاغتصاب إن صح لتعبير، ذي طبيعة رمزية للمقدس.

إن مثل هذه الدولة التي يصفها (طه عبد الرحمن) بالمشتبهة، تخضع الشأن الديني لمقتضيات السلطة، وهي تنقد المشروعية الأخلاقية ما دامت توظف ما هو مقدس لتحقيق المكاسب السياسية،

[1] - طه عبد الرحمن، روح الدين: من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2012، ص175، ص181.

[2] - طه عبد الرحمن، سؤال العمل: بحث عن الأصول العلمية في الفكر والعلم، المركز الثقافي، العربي، الدار البيضاء، 2002، ص133.

فيغدو الدين تابعا لا مرجعية ويفرغ من قوته المعيارية، يقول: "الدولة المشتبهة هي التي تستعمل الدين أداة للحكم ولا تقيمه على الحق، بل تقيمه على المصلحة"[1]

المبحث الأول:

تجليات النسيان عبر الفكر السياسي الغربي

المطلب الأول: النسيان في أصله الوجودي

لا يتعامل (طه عبد الرحمن) مع (النسيان) بوصفه مجرد ضعف في الذاكرة، بل يراه آلية روحية خطيرة تفضي إلى الشعور بالاغتراب، وهو أيضا الوجه الآخر للغفلة، فالإنسان في أصل خلقه كائن موصول بالحق، لكنه يغفل عن هذا الأصل فينسى حقيقته، يقول "الإنسان هو الموجود الذي ينسى أنه ينسى"[2] مشيرا إلى تضاعف الغفلة وعمق الانفصال الروحي، وأما من حيث تركيبتنا الأصلية التي تجمع الديني والسياسي في نظره فإن (النسيان الأكبر) الذي أصابنا هو أننا نسينا (التدبير) و(العبادة) اللذان يأتلفان في حياتنا ائتلافا، فمتى كنا عابدين ذلك لأننا نتدبر ومتى كنا متدبرين ذلك لأننا نعبد.

المطلب الثاني: تجلياته عبر الفكر السياسي الغربي

على ضوء فلسفة (طه عبد الرحمن)، يبدو أن الفكر السياسي الغربي قد وقع ضحية الأصل، فإن كان (سقراط) (469-399 ق.م) يرى في العقل ما يرفع الإنسان فوق (علم الحيوان) ومرجحا حقيقيا لجميع قيمنا الخلقية والسياسية، بما في ذلك رؤية تلميذه (أفلاطون) (427-347 ق.م) وفكرته عن (الحاكم الفيلسوف) الذي يمثل الإدراك المطلق للخير أو لما هو فوق الوجود شرفا وقوة، حيث المعرفة النظرية والقدرة العملية المجتمعتان فيه دليل على حسن إدارة شؤون الدولة، فإن ذلك (النسيان) بدأ حيث وقعت القطيعة مع هذه التصورات وحين تم إجراء فصل (السياسة) عن

---

[1] - المصدر نفسه، ص115.

[2] - طه عبد الرحمن، بؤس الوهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2014، ص13.

(الأخلاق)، خصوصا مع (نيقولا ميكيافيلي) (1469-1527) معتبرا (السلطة) من حيث كونها جوهرا لأي نشاط سياسي وكأهم ركن قانوني يميز (الدولة) عن بقية التنظيمات. ممارستها "للقوة والخديعة"[1] ضروري في بعض الأحيان لأن هناك عددا ضخما من الأمثلة التي تقيم الدليل على ذلك.

لقد نفي الأصل الروحي للإنسان وتحولت (السياسة) إلى آلية تقنية للضبط، ومع النفي وهذا التحول (نسيان)، خصوصا ما أظهرته فلسفة (توماس هوبز) (1558-1679) في ضوء فهمها لذلك الكائن كما هو في الواقع، معتبرة أنه لا شيء واقعي يثبت نفسه فيه غير (الأنانية) وهي المحور الذي تقام عليه (حرب الكل ضد الكل)"[2]، وإذ كان (جون لوك) (1632-1704) قد جعل الحرية أساس السياسة باعتبارها إجراء مؤسسا ونتاجا عقلانيا تعاقديا، من خلال إعطاء الأولوية للحقوق الطبيعية السابقة، بحيث نشأة الدولة التي تدرسها لابد أن لا يكون سلطتها محدودة بالقوانين الطبيعية"[3] أو (جون جاك روسو) (1712-1778) الذي استنتج أن إذابة الإرادة الخاصة في الإرادة العامة كعمل جاد والوحيد في تحقيق شرعية السلطة، فإن ذلك لا يمنع من القول أنهما همشا البعد الغائي للإنسان أي (ذكر المصير).

إن العلاقة بين (السياسة) والنسيان) ليست تفاعل عرضي بين ميدانين منفصلين، بل تمثل جذرا انطولوجيا وأخلاقيا في تكوين الوعي البشري، ويظهر على الفكر السياسي الغربي المعاصر الذي تجاوز الديني والتقليدين الكلاسيكيين في مسلماتهم مع صورته الممزقة التي كانت نتيجة تيارات تعددت وتضاربت فيما بينها، أنه وقع في (النسيان) ولم يقف وعيا منه عل تلك العلاقة بجميع تفاصيلها، حتى وإن كان (جون راولز) (1921-2002) كأكبر ممثل لذلك الفكر، بعد أن رأى في النظام السياسي العادل، أنه لا يمكن أن يستند إلى مصالح فئوية أو دينية خاصة، بل على (العقل العمومي) الذي يمثل توافقا بين مواطنين أحرار متساوين ضمن ما سماه بـ "الاجماع المتداخل"[4] قد انتبه إلى وجود خطر دائم يتمثل في (نسيان الآخر) من خلال تحويل (السياسة) إلى (أداة إقصاء) الغير المنتمين إلى الأغلبية.

إذن النسيان السياسي بحسب (جون راولز) ليس مجرد ضعف في الذاكرة التاريخية، بل هو خطر منهجي يهدد (العدالة) نفسها ويجب التصدي له عبر أدوات عقلية صارمة، لكن (راولز) رغم ذلك

---

[1] - نيقولا مكيافيلي، الأمير، ترجمة: أحمد بهاء الدين شعبان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1997، ص21.

[2] - Thomas hobbes, le vithan, penguin, classics, London, 1985,p 89.

[3] - John lacke, two treatises grovernment, cambrialge university press, cambridge, 1988, p121.

[4] - جون راولز، الليبرالية السياسية، ترجمة: فؤاد زكريا، العدد 233، عالم المعرفة، 1998، ص653.

نسي أصله الروحي، والأخلاقي العميق حين اختزل الإنسان إلى فاعل عقلاني محايد، أو حين اعتبر (العدالة) إجرائية وليست قيمية.

المبحث الثالث:

تجديد العلاقة بين الدين والسياسة

المطلب الأول: الفلسفة الائتمانية

يظهر (طه عبد الرحمن) تحت مسمى (الفلسفة الائتمانية) أننا نحيا في عالمين اثنين، احدهما (عالم مرئي) نوجد فيه بحسنا وجسدنا، والثاني (عالم غيبي) نوجد فيه بروحنا، بما يشكل (العالم المرئي) مجال (السياسة) و(العالم الغيبي) مجال (الدين)، فيكون الدين عبارة عن تنزيل يجعل (العالم الغيبي) مشاهدا في العالم المرئي) تحت عنوان (التشهيد) وتكون (السياسة) عبارة عن تنزيل يجعل (العالم المرئي) متواريا في (العالم الغيبي) لما يسميه بـ (التغييب)، إذ يقول: إن الإنسان محاط بالغيب إحاطة الشهادة به بل إن إحاطة به فوق إحاطتها"[1]

يسترسل على هذا التقسيم للإقرار بمقدار إمكانية تحصيل (الفاعل الديني) رؤية (العالم المرئي) بواسطة فطرتنا أو كما يسميها "بـ (الذاكرة الغيبية) أو (الذاكرة الأصلية)"[2] والتي حسبه، تنزلنا منزلة سابقة على وجودنا المرئي، إذ تحتفظ هذه الذاكرة بمعان أو أفعال تحدد الغاية المرجوة من وجودنا التي هي (التعبد لله وحده) بما تكسبنا هذه العبادة من قيم قصدية، (أخلاقية وكمالية) بفضل مبدأ (التفاضل والتكامل)، لكن (العلمانية) وتوجهاتها أظهرت (مبدأ النسبة) بسبب نسيانها لوجودنا الغير المرئي وعملت على تصعيد المحسوس إلى مرتبة الروحي، فسقط (الفاعل السياسي) وتوغل في نسبة الأشياء إلى نفسه وتسيد على غيره في شكل جعله يتوق إلى الجبر والقهر.

إن (الفلسفة الائتمانية) التي صاغها (طه عبد الرحمن) هي بمثابة السبيل الذي نعود به إلى أصلنا المنسي، لقولها بوجود أصل واحد يخصنا هو (الأمانة) ولكونها لا تفترض (التضاد) وتؤكد

[1] - طه عبد الرحمن، بؤس الوهرانية، المصدر السابق، ص13.

[2] - المصدر نفسه، ص52.

(التقابل) بين (تعبدنا) وتدبيرنا)، أما الشرط الذي تنبني عليه (الأمانة) هو (الاختيار)، يقول: "إن تمتع الإنسان بحرية الاختيار منذ وجوده في عالم الغيب يجعله يرجع العمل التعبدي والعمل التدبيري في العالم المرئي إلى أصل واحد هو الائتمان الإلهي"[1]

المطلب الثاني: العقل المؤيد

إن تجديد العلاقة بين الدين والسياسة، هو فعل (العقل المؤيد)، وهو بخلاف (العقل المجرد) الذي تحرر من الوحي والقيم، وتمحور حول الحساب والمنفعة إلى جانب هيمنته في الحضارة الغربية، فهو أي (العقل المؤيد) موصول بالوحي، مقيد بالأخلاق ومتصل بالحكمة الإلهية، حيث تسير المعرفة جنبا إلى جنب مع التزكية.

العقل المؤيد ليس نقيض العقلانية، بل هو عقلانية ذات بعد روحي تسعى إلى المعنى لا إلى السيطرة، وإلى التخلف لا الهيمنة، يقول (طه عبد الرحمن) عن هذا العقل الذي لا ينفصل عن الوجدان والنية والعمل: "العقل المؤيد ليس عقلا مجردا أو مكتفيا بالتجريد، بل هو عقل تتقوم فيه المعرفة بالتجربة الحية، وتترقى به النفس إلى مراتب الكمال الخلقي والروحي"[2]

نقد وتقييم:

لقد رأينا أن الفيلسوف (طه عبد الرحمن) ما يحسب على قدرته في نقل المفاهيم الفلسفية إلى مجال الممارسة السياسة، بحيث جعل (النسيان) ليس مجرد (ظاهرة نفسية) بل (علامة أنطولوجية) وأخلاقية تؤثر في المجال العمومي السياسي، كما أن تشديده على أن (السياسة) إذا انفصلت على الذاكرة الأخلاقية تحولت إلى مجال للهيمنة، يمنح أطروحته بعدا إنذاريا يذكرنا بخطورة النسيان الجماعي" على العدالة والاستقرار.

لكن بالمقابل، يغلب على مشروعه الطابع المعياري (ما يجب أن يكون) أكثر من الطابع التحليلي (ما هو كائن) مما يجعل خطابه الفلسفي "بعيدا عن قراءة الواقع السياسي المعاصر بآلياته المعقدة"[3] كما أن تركيزه المفرط على البعد الأخلاقي قد يقضي عناصر حاسمة في (السياسة)، مثل (الاقتصاد) أو التوازنات الجيوستراتيجية، ضف إلى ذلك أن أسلوبه البلاغي يجعل خطابه أقل قابلية للتطبيق العملي

[1] - المصدر نفسه، ص53.

[2] - طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997، ص116.

[3] - محمد المصباحي، الفلسفة والحداثة: قراءات في فكر طه عبد الرحمن، منشورات الزمن، الرباط، 2018، ص92.

في المجالات السياسية العمومية، إذ يظل في مستوى التنظير الفلسفي، وتبقى إشكالية أساسية مفتوحة؛ كيف يمكن ترجمة (سياسة العقل المؤيد) الذي ينادي به إلى آليات مؤسساتية قابلة للتفعيل في عالم اليوم؟ وهل يمكن تجاوز النسيان السياسي بمجرد استدعاء البعد الأخلاقي أم أن الأمر يتطلب إصلاحات معرفية ومؤسساتية شاملة؟ هذه الأسئلة تجعل من فكر (طه عبد الرحمن) إسهاما خصبا لكنه بحاجة إلى تطوير في اتجاه ربط الأخلاقي بالواقعي.

خاتمة

يتبين من خلال ما سبق أن (طه عبد الرحمن) قدم قراءة فريدة لمفهوم (النسيان) في (السياسة)، حيث جعله علامة على غياب الذكر الأخلاقي أو مصدرا لاختلال الممارسة السياسية، وبقدر ما تنطوي أطروحته على قوة إبداعية، من خلال ربط السياسة بالبعد الروحي، فإنها تكشف أيضا عن حدود تجعلها بحاجة إلى مزيد من التفعيل الواقعي، أي استعادة (سياسة الذكر) ليست مجرد دعوة أخلاقية، بل مشروعا حضاري يقتضي جهدا نقديا متواصلا لإعادة بناء علاقتنا بالذاكرة والعدالة، بحيث تصير السياسة مجالا للتزكية لا للتسلط، وللذكر لا للنسيان، وهنا تتضح قيمة (فكر طه عبد الرحمن) باعتباره إسهاما مفتوحا على إمكانات نظرية وعملية، يستدعي مزيدا من البحث في كيفية تحويل القيم الروحية إلى قوة إصلاحية في عالم السياسة المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر بالعربية

- طه عبد الرحمن، روح الدين: من شق العلمانية إلى سعة الائتمانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2012.

- طه عبد الرحمن، سؤال العمل: بحث عن الأصول العلمية في الفكر والعلم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002.

- طه عبد الرحمن، بؤس الدحمرانية: النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2014.

طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997.

المراجع بالعربية

- جون راولز، الليبرالية السياسية، ترجمة: فؤاد زكرياء، العدد 233، عالم المعرفة، 1998.

- محمد المصباحي، الفلسفة والحداثة: قراءات في فكر طه عبد الرحمن، منشورات الزمن، الرباط، 2018.

- نيقولا مكيافيلي، الأمير، ترجمة: أحمد بهاء الدين شعبان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1997.

المراجع بالأجنبية:

- John locke, twotreatises of governement, combridge university press, com bridge, 1988.

- thomas hobbes, levithan, penguin classics, london, 1985.